

رسالة في تقاليد أهل الطرق

جاءنا من أحد علماء تونس المصلحين ما يأتي
الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله
حضرة العلامة الاستاذ المشهور السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الغراء
أمدته الله بروح من عنده ، ومنحه من الاعانة على الارشاد ما لا ينبغي لأحد
من بعده ،

سعد حظي أيديكم الله بما أمتنتم به علي من اعتباركم لي مشتركاً في مجتكم
التي تقشع بمظهرها سحاب الضلال ، والبسوع التي أحدثت بالأمة ذات اليمين
و ذات الشمال ، والحرافات التي انصفت بصيغة الدين ، والأوهام التي لعبت
بعقول أولئك الجامدين ، فتبارك الذي أيقظ هممك لإرشاد أمتك فأوضح
للساري بمنازل المهجبة « ومن يهد الله فإله من مفضل » سيما وقد شغفت ذلك
بفتح باب الأسئلة للمسترشد ولعمري إنك قد آتيت بذلك من كنوز السعادة
للأمة ، ما إن مفاحة لتتوه بالعصبة أولى القوة ، وقد حلني فضلكم هذا على
تقديم أسئلة لاعتابكم الكريمة

خرجت في بعض هذه الأيام الأخيرة قصداً لأداء صلاة المشاء مع الجماعة
فما برحت مكاني حتى سمعت اصواتاً مرتفعة وقد رجعت الأرض رجاً فحسبت أن
أبخرة احتبست فيها فنشأ عنها زلزال فكثرت لفظ القوم على ما أعرفه عنهم عند
حدوث الزلزال ولم يزل ظني كذلك حتى دخلت المسجد فوجدت فيه عدداً كثيراً
من نوع الانسان ينيف على الحسين يذكر الله ويرقص ويصفق بيديه وقد تصيب
جبينه عرقاً فعلمت أن رجة الأرض من وطأة قدميه فسألني شقيقاي المشهوران
عن ذلك فكان جوابي « الجنون فنون » فأعاد علي السؤال : كيف يسهى في
جنون من عقل ؟ فقلت وأن لهم بالعقل ولو كانت لهم منه مسكة لا يفكروا في مثل
هذا ونجروا على معصية الله في بيته . هلا انفرد كل منهم بنفسه وذكر الله
تعالى كما أمره بقوله ﴿ واذا كرر بك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من

القول ﴿ وهذا إن لم يكن هوؤلاء المجانين شغل تعجل منفعتهم والا فليحملوا فوق هذه الأوزار أوزارا ، وليستعدوا العذاب المضاعف يوم لا يجدون من دون الله نصارا ، ألم تروا أن قضاء الفوائت واجب على الفور الا في مواضع حسبوا منها الاشتغال بجمرة يحترف المرء بها

ثم ليت شمري أية فائدة ونتيجة في اجتماعهم هذا وترد عليهم كلمة التوحيد؟ أن نظفت بها ألسنتهم فقد جحدتها أفهامهم بأخذ الوسائط وليتهم أدركوا حقيقتها وتركوها ونفسها

عجبا لهم اتخذوا رسالة في التوحيد لدين مكناش الشيخ محمد بن عيسى يتلونما بعد صلاة المغرب كل ليلة ولو سئلوا عن برهان الوحدة انية لم يكن جوابهم الا السكوت أو الاستناد الى أن ذلك اعتقاد الأقدمين من آباؤهم مع أن مذهب المؤلف عدم نجاته المقلدين ، وهو الحق الذي تقتضيه طبيعة الدين ، وان خالفني ذلك أقوام ، بنوا مذهبهم على الحرفات والأوهام ، والعمل بما رأيت في الحقيقة الا أضافت أحلام ، سألت بعض التالين لهذه الرسالة عن معنى قول المؤلف « نزهة عن المكان » فقال أبي أنلو هذه الجملة نحو ثلاثين سنة وسمعتنا من قبلك أساتذة أكبر علما وسنا فلم يسألنا واحد منهم هذا السؤال ، ولم يكافئنا بمثل هذا المقال ، فان كلام الأولياء لا يصل اليه الأفكار ، ولا تنوجه نحو إدراك حقيقته الأ نظار ، اللهم الا ممن عميت بصائرهم ، وطمست سرابهم ، وقال سبحانه أنك أعوذ بك من هؤلاء الضالين: فقلت اذا كان الأمر كذلك أفيحسن بك أن ترد دمالا عنهم ثم أعرضت عنه فلاطفه أحد شقبي حتى أوصله الى معنى الجملة على بساطتها بأوضح برهان ، وأحسن تبيان ، فكان خلاصة قوله بعد ذلك التقرير انا اعتقد ان الله عز وجل في السماء مستدلا بحكاية عن عجوز كانت ترفع بصرها الى السماء كل صباح وتقول عم صباحا يا مولانا ورؤيت بعد موتها وعليها ثياب خضر

واملى أطلت ذبل انتقال ، في الكلام على هؤلاء الجهلة من أرباب الضلال ، حتى خرجت بذلك عن دائرة السؤال ، الى دائرة التشكي من هذه الاحوال ، فسم الاستاذ المسترشد ، مع عدم الوقوف على المقصد ،

أقول أي صدعت بما أظنه الحق لما رأيت ذلك المنكر فقلت تالله ما هذا من الذين أيها الناس أين أنتم من حفة السمع «أربعوا علي أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غابيا» وكان جوابهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) قلت (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجتئنا بالحق أم أنت من اللاعبين) ثم نادوا بصوت عال: أين أنت يا قطب مكناس والحرس الا كبير بديوان الصالحين والفوت المتصرف في السماوات والارض مزق هذا المتعرض كل ممزق: فقلت أنتم وإيم الله تشركون من حيث لا تشعرون أتدعون من دون الله مالا ينفكم شيئا ولا يضركم وما القطب والحرس والفوت الا كلمات تدل على معان يعرفها الغوي فجعلتموها أعلاما لأفراد أكلت الارض اجسادهم . أقول لكم ولا أخشى لومة لائم (إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)

ترجمون انكم مسلمون وقد دعوتهم غير الله تعالى
ترجمون انكم مسلمون وقد اتخذتم للذوزراء وعمالا سميتموهم بأهل الديوان .
أهذا الديوان عندكم مجلس نواب الأمة ، فرددوا علي اللعنة ثم قالوا نجتمع ليلة النصف من شعبان تلك الليلة الفضلى ونذبح بقرة امام زاوية هذا القطب الكامل وندعو عليه فيموت بهركة الشيخ ابن عيسى . فقلت وما فضل ليلة النصف من شعبان ان هي الا ليلة كسائر الليالي نرى القمر فيها كاملا كما نراه في غيرها . إن زعمتم أنها الفضلى بما أن الارزاق والآجال تقدر فيها كما نقولون فاعلموا أن أفعال الله تعالى منزهة عن العيب والارزاق والآجال قدرت من قبل ان يخلق الكون فلا معنى لتقديرها تلك الليلة مرة ثانية . وان زعمتم أنها الفضلى بما ان الله يستجيب دعاء المتضرع فيها ولا بد فنقول لكم أعندكم على ذلك دلائل أم تقولون على الله مالا تعلمون

سيدي هل في كلامي هذه ما يوجب المروق من الدين ، والكفر بالله رب العالمين ، وخاصة القوم على اهراق دمي متفقون ، فأوضح لي سبيل الصواب أيها المرشد الكبير ، والمنصف الذي ان يجد الحق دونه من نصير ، ودونك من الوالد

والشقيتين سلاما ، ونحية كواهلها اجلالا لمقامكم واعظاما ، ومن الحقير مثل ذلك على ما تعلمون من صدق الوداد ، والحالة الثابتة أصولها بسويداء الفؤاد ، وكتب في ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٤ ح . ي .

(المنار) نشرنا هذا في باب المناظرة والمراسلة لا في باب الفتاوى لانه رسالة مفيدة في التنديد بالبدع والشكوى من الجهل والميل الى الاصلاح ولازى السؤال فيه الا من قبيل استفهام التعجب والا فأي شبهة في الكلام يبنى عليها تكفير المشكك ؟ أقوله ان دعاء غير الله شرك بالله ؟ كيف وهذا ليس من الشرك الخفي الذي هو أخفى من دينب النمل وإنما هو أشد الشرك وأظهره وأجلاه ونصوص القرآن في ذلك لا تحتمل التأويل ولا التحريف . نعم ان الذين يرون لأقسامهم رياسة دينية باعتماد العامة عليهم وصلاتهم يسهل عليهم تكفير كل من خالف أهواءهم وتقاليد العامة التي تنوكت في بدعها عليهم وهم ينحرون رضاها لما لهم من الفائدة في ذلك وان كانوا يقولون اننا لا نكفر أحدا من أهل القبلة الا اذا جحد ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة من غير تأويل ولازم المذاهب ليس بمذهب

هذا وان كان الكاتب قد يلام على خطاب العامة بما يفهم من قبول كلامه ، ويحول دون فهم مرامه ، وكان يجب أن يأتيهم من ناحية الاقناع ويحتج عليهم بكلام من يعتقدون ولايته على ابطال خرافاتهم الصريحة ثم ينتقل منها الى ما هو دونها بالتدرج ولكل مقام مقال وإنما يخاطب الناس على قدر عقولهم فمسي أن يراعي ذلك بعد ويتحاشى المبالغة في كل شيء فقد انتقدت عليه قوله « لا ينبغي لاحد من بعده » وقوله « أعتابكم » وقوله « وان يجد الحق دونه من نصير » والله يؤيدنا ويؤيده ، ويسد لنا ويسدده ، وعليه وعلى والده وشقيقه السلام .

وقد جرت بنا هذه الطريقة في نصيحة العامة فرأينا فائدتها بأعيننا واختبارنا نعم ان مشايخ الطريق الذين يمشون بأكل السحت ويخادعة العوام قلما يسمعون أو ينفقون فينبغي الاعراض عن مكابرتهم ، والموعظة التي تقنع مقلديهم بفساد حالهم .